﴿ الجزء السابع ﴾ ﴿ السنة الثالثة ﴾

لمعة

مجلة علمية تهذيبية تاريخية صحية

﴿ الاسكندرية — مارس (آذار) سنة ١٩٠٢ — ذو الحجة ١٣١٩ ﴾

مشاهير المتقدمين والمتاخرين

تاريخ فيكتور هيغو

﴿ مقالة تهديها الجامعة الى روحه الكريمة ونفسه العظيمة ﴾

وهي عبارة عن تاريخ فرنساوي قرن كامل يجد فيه القارئ مزيجاً من التاريخ والادب والشعر والفكاهة كانه كتاب مستقل مختصر . وقد عانينا مشقة كتابته بهذا الاسهاب لمناسبة احتفال الجمهورية الفرنسوية في الشهر الماضي بتذكار مرور مائة عام على ولادة هذا الرجل العظيم . وهذه الترجمة اول ترجمة كاملة صحيحة تُنشر في اللغة العربية عن هذا الانسان الذي يجب ان لا يجهله انسان

خطب المسيو براندیس المؤلف الدانمركي في هذا الشهر في باريز فقال : ان ظهور اعاظم الرجال في الارض منحة الهية من السماء . فان هؤلاء الرجال يرقون شأن البشر و يزينون الحياة بما يبتدعونه فيها . واي رجل عاقل لا ينسى برهة مصائب الحياة ومصاعبها اذا اخذ كتاباً من كتب شكسبير او كوث وصار يطالعه بامعان تحت ظل صفصافة على شاطئ نهر او تحت ظل سنديانة في اعالي الجبال . واذا كان هولاء المؤلفون المبتدعون هم بهجة الارض وزينتها فمن مصلحة الحكومات والامم ان يسهلوا لهم سبيل الظهور و يمهدوا امامهم

طريق الحياة لئلا تقتل مصاعبها ما خصتهم به الطبيعة من القوات والقوى . ثم قال ان الحكومات الملكية افضل من الحكومات الجمهورية من هذا القبيل لانها اصلح لنشأة اعاظم الرجال فيها

وليس غرضنا من نشر هذا القول الاشارة الى خطائه او صوابه وانما غرضنا ان نأخذ منه هذه العبارة : ان اعاظم المؤلفين الذين يستحقون ان يُدعوا كذلك هم بهجة الارض وزينتها في هذه الحياة ولولاهم لما كانت الحياة على هذه القبضة الترابية التي يسمونها كرة ارضية جميلة كما هي الآن . ولذلك ننشر في كل جزء عرف فضائلهم في صدر المجلة

وحسبك لتأييد هذا القول ان تنظر الى رجل واحد احتفلت الجمهورية الفرنسوية في الشهر الماضي بتذكار مرور مائة عام على ولادته . ونريد به فيكتور هيغو الشاعر الفرنسوي المشهور . فان هذا الرجل ملاء الارض شرقاً وغرباً من تاثيره فكانه شمس انارت العالم كله او كانه عالم مفرد انارته شمس المواهب السماوية . ولذلك راينا ان ناتي على ترجمة هذا الشاعر بالاسهاب الواجب لرجل مثله ونهديها الى نفسه الكريمة التي هي الآن حيث كان يلذ لها الارتفاع في اعالي السماء فوق الكواكب والنجوم

***

﴿ تاريخ صباه ﴾ هو فيكتور ماري هيغو ولد في ٢٦ فبراير من عام ١٨٠٢ وتوفي في ٢٢ مايو من عام ١٨٨٥ . وقد قال عن نفسه في احدى قصائده عن القرن التاسع عشر « لما ولدتُ كان عمر هذا القرن سنتين » اما ابوه فهو الجنرال هيغو واما امه فهي صوفيا تربيوشه كريمة احد اصحاب البواخر في نَنت . ومنهم من يزعم ان اباه كان من اسرة قديمة من اللورين نالت رتبة الشرف في عام ١٥٣١ ولذلك كانوا يلقبون اباه « الكونت هيغو » ويلقبونه هو « الفيكونت فيكتور هيغو » . وقد اثبت فيكتور هيغو هذا النسب لنفسه في كتاب عنوانه « ترجمة فيكتور هيغو بقلم احد رفاقه » ولم يكن هذا الرفيق سوى مدام هيغو نفسها التي كتبت هذا الكتاب وزوجها املاه عليها . على ان قوماً آخرين ينكرون هذا الزعم ويقولون ان جدّ فيكتور هيغو كان نجاراً في ننسي وكان يُدعى « يوسف هيغو »

وقد ولد فيكتور هيغو في مدينة بيزانسون . وكان له اخوان اكبر سناً منه وهما آبل واوجين . ومن غريب امره انه كان شبيهاً بنيوتن من حيث ضعف البنية في صغره . فقد كان هزيل الجسم نحيفاً اصفر اللون ولكنه كان فوق جسمه راس كبير كانّ كل قوته

قد صُرفت اليه وخُزنت فيه . ولذلك كان بعضهم يضحك من ذلك الجسم الصغير والرأس الكبير

عائلة هيغو

وكان هيغو ابو صاحب الترجمة عزيزاً على جوزيف بونابرت شقيق نابوليون وقد ترقى في جيشه وتحت امرته وكان مضطراً الى الانتقال من بلد الى بلد طوعاً لنظام خدمته . فلم يقم في بيزانسون سوى بضعة اشهر ثم انتقل الى مرسيليا فكورسيكا فجزيرة الب فجنوه . وكان ارساله الى جنوه في عام ١٨٠٥ فكرهت زوجته ان تصحبه الى تلك الجهات الغريبة فعادت باولادها الى باريز وارسلتهم الى مدرسة في شارع مون بلان . ولكن زوجها لم يلبث ان جُعل حاكماً لمقاطعة افيلينو في ايطاليا فاستدعى زوجته واولاده لظنه انه القى عصى التسيار في تلك الجهات . فسارت مدام هيغو باولادها الى ايطاليا . غير انه لم يستقر بها المقام حتى جُعل جوزيف بونابرت ملكاً لاسبانيا وكان ذا ميل الى هيغو ابي صاحب الترجمة كما تقدم فاستدعاه اليه . فسار هيغو الاب الى اسبانيا وعادت زوجته باولادها الى باريز فادخلتهم الى مدرسة في شارع سنت جاك انشأها رجل يُدعى المسيو دي لاريفيير وكان قبل الثورة راهباً فلما شبت نار الثورة تزوج وعمد الى التدريس . وقد زعم بعض مترجمي هيغو ان هذا المعلم هو الذي بث في نفسه من صغر حب الجمهورية حباً شديداً ظهر بعدئذ في كتاباته ظهوراً عظيماً . وكان يومئذٍ عمر هيغو الابن سبع او ثماني سنوات . فاذا صح ذلك الزعم كان اكبر دليل على اهمية التعليم الابتدائي وصدقِ من قال : ان العلم في الصغر كالنقش في الحجر .

وفي عام ١٨١١ رُقي ابو هيغو من رتبة كولونيل الى رتبة جنرال وجُعل من ياوران ملك اسبانيا وعُين مديراً لمائدة الملك ووالياً لمقاطعات افيله وسكوفيه وصوريه . فارسل هيغو واستقدم زوجته واولاده الى اسبانيا . ولما قدمت امرته ادخل اولاده الى مدرسة النبلاء الاسبانية فكان التلامذة الاسبانيون يسيئون معاملتهم حسداً لهم لانهم كانوا غرباء بينهم . ولكن لما كانت سنة ١٨١٢ اضطربت حال الفرنسويين في اسبانيا وخشي هيغو من خروجها من ايدي دولته فابقى لديه ابنه آبل واعاد زوجته وولديها الآخرين الى باريز خوفاً عليهم من فتنة او اضطراب . وكان عمر هيغو الابن حينئذٍ عشر سنوات وقد زار في اثنائها مع اسرته رومه ونابولي واسبانيا فافادته هذه الزيارات كثيراً خصوصاً زيارة اسبانيا التي ابقت في قريحته وعقله آثاراً اسبانية لم تُمحَ منها . وقد وجد شارحو

كتبه في كتاباته ما لا يحصى من التعابير والمواضيع والصفات الخاصة باللغة الاسبانية

ولما عادت مدام هيغو بولديها الى باريز اعادتهما الى مدرسة الراهب الذي تقدم ذكره . وكانت مدام هيغو من النساء اللواتي يستحسنّ اراء فولتير ورسو فتركت ولديها يطالعان كل الكتب التي كانت تقع في ايديهما من مكتبة جارٍ لها حتى ما كان منها غير ادبي . فاقتبس الولدان من هذه المطالعة المستمرة المتنوعة كثيرًا من المبادىء الابتدائية المختلفة . وربما كانت بذور الحرية القيت في نفس فيكتور من هذه المطالعة لا من مبادىء الراهب الذي تقدم ذكره

وفي عام ١٨١٥ عاد الجنرال هيغو الى باريز . وكانت اخلاقه لا تنطبق على اخلاق زوجته فاشتد الاختلاف بينهما في هذا العام حتى انفصل عنها واخذ ولديه منها بناءً على حقوق الاب في فرنسا . ثم ادخل هذين الولدين في مدرسة كورديه فاقاما فيها الى عام ١٨١٨ ثم اخذا يتلقيان الفلسفة والرياضيات والطبيعيات في مدرسة لويس الكبير فظهر منهما استعداد تام لاقتباس العلوم والفنون . ولما بلغ فيكتور هيغو صاحب الترجمة السنة الرابعة عشرة بدأ بالنظم وكان ذا ميل فطري اليه

* * *

﴿ بدء حياته الادبية ﴾ واول منظوماته رواية دعاها « ايرتامين » واخرى دعاها « اتيليا » ثم كتب رواية عنوانها « اينس دي كاسترو » وكلها صنع طفل في عالم الكتابة ولعلها لم تُنشر . وكان الشاعر فرجيل اللاتيني احب الشعراء اليه فترجم بعض ابيات من ابياته .

الفتى هيغو والاكاذمية

ولكن كل ذلك لم يدل عليه الدلالة الواجبة . ففي ذات يوم فتحت الاكاذمية الفرنسوية بابًا للشعراء والكتاب للمباراة في موضوع « منافع الدرس والمطالعة » . وكان عمر فيكتور هيغو يومئذ ١٥ عامًا . فخطر له الدخول في هذا السباق لان نفسه الكبيرة في جسمه الصغير كانت تحدثه بكل امر كبير . وكان يقرأ منظومات عصره فيجدها جافة ناشفة بازاء كنز الشعر والموسيقى الذي كان في باطنه ينمو شيئًا فشيئًا . فنظم قصيدة طويلة في هذا الموضوع ووقعها بهذا التوقيع « فيكتور هيغو وعمره ١٥ عامًا » ثم انه اخفى هذا الامر عن كل انسان الا عن معلمه لانه رام مفاجأة رفاقه واهله بفوزه اذا فاز وكتمان فشله اذا فشل . فجعل معلمه التلامذة في ذات يوم يمرون عن باب الاكاذمية وبينما كان التلامذة

راجع صفحة ٢٨٤

المدالية الفضية التي احتفلت الجمهورية الفرنسوية باهدائها اليه

﴿ رسم المسيو برتلو ﴾

وتحته : التركيب الكيماوي . العلم يرشد الانسانية

﴿ برتلو امام معمله يفتكر ﴾

وفوقه الوطن يكلل العمل والحقيقة تنيرطريقه

الفريد نوبل واضع الجوائز

راجع صفحة ٣١٧

﴿ وليم شكسبير ﴾

﴿ فرنسيس باكون ﴾

راجع صفحة ٣٥٠

راجع صفحة ٣٦٨

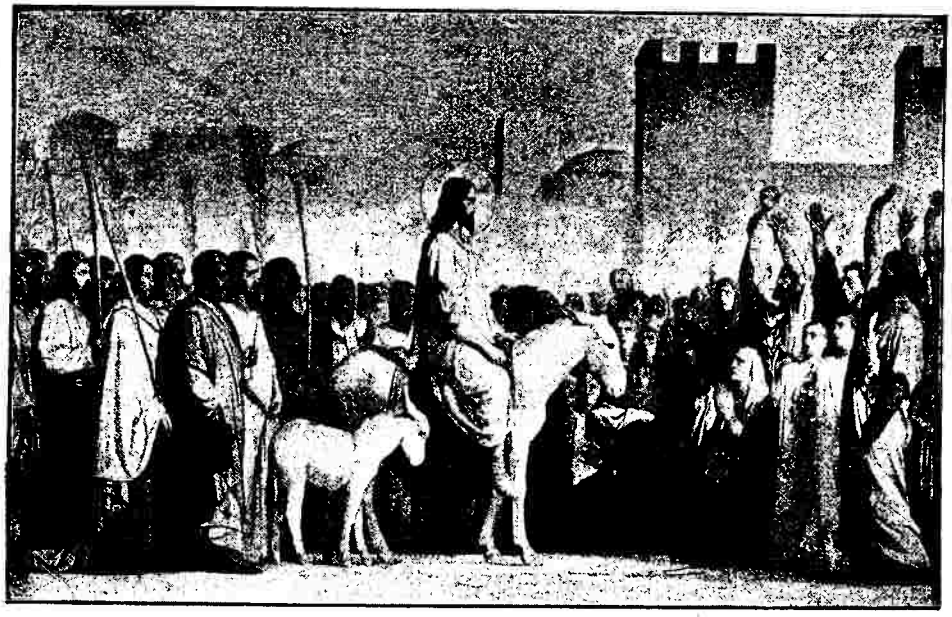

عودة المسيح الى اورشليم

احتفال الشعب بعودته ودخوله به الى المدينة المقدسة في وسط الاحتفال · وهو عيد الشعانين عند النصارى

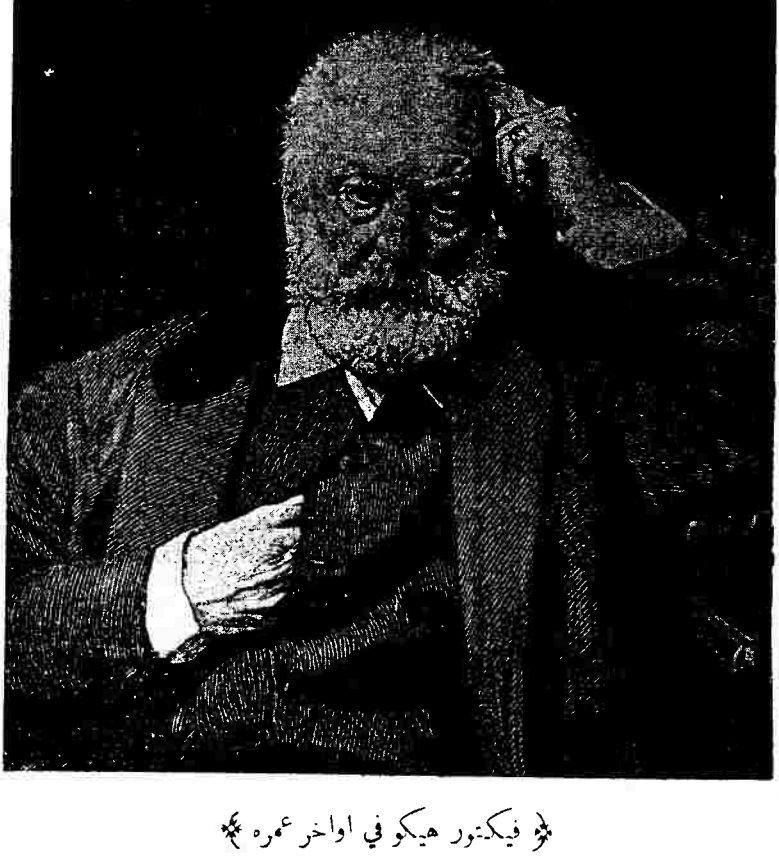

فيكتور هيكو في اواخر عمره

Victor Hugo

(اسمه بخط يده كما كان يوقع به على رسائله)

راجع صفحة ٤٢٨

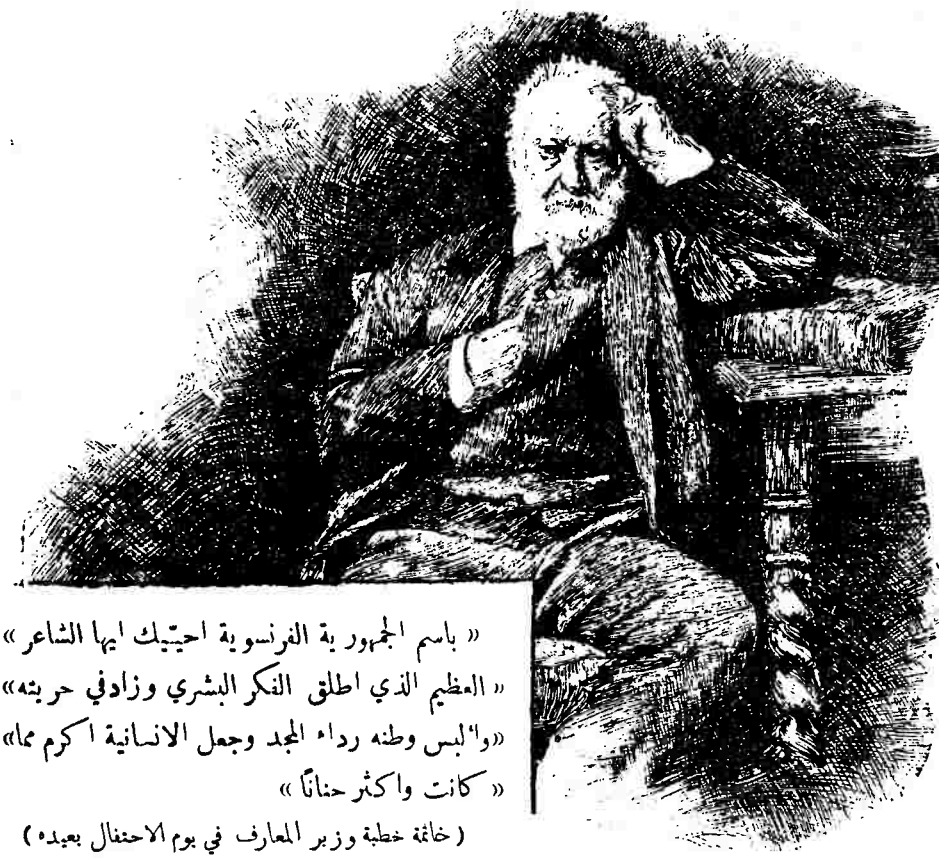

« باسم الجمهورية الفرنسوية احيّيك ايها الشاعر »
« العظيم الذي اطلق الفكر البشري وزادفي حريته»
«والبس وطنه رداء المجد وجعل الانسانية اكرم مما»
« كانت واكثر حنانًا »
(خاتمة خطبة وزير المعارف في يوم الاحتفال بعيده)

﴿ رسم آخر لفيكتور هيكو وهو رابض ربضة الاسد ﴾

اجع صفحة ٤٤٤

﴿ التلامذة والنسوة ينزلون السيد المسيح عن الصليب ﴾

راجع صفحة ٤٦٠

راجع صفحة ٥١٦

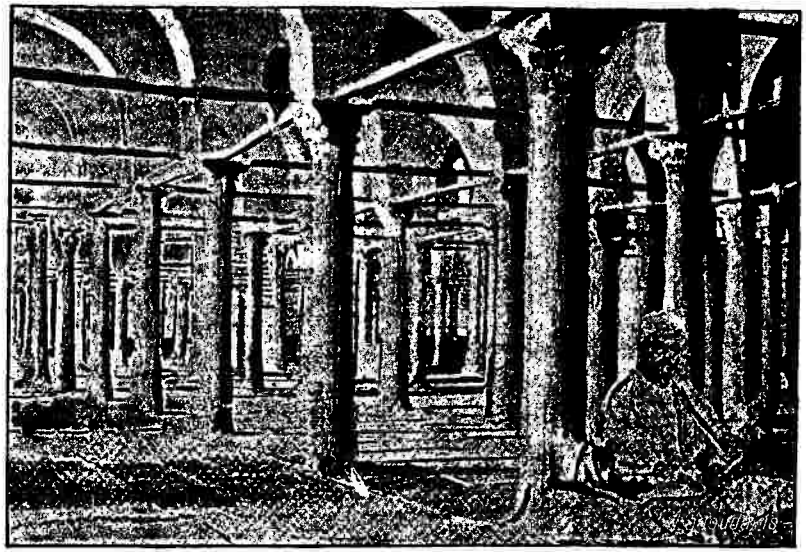

تمثيل ابن رشد في احد جوامع قرطبة منصوباً للداخلين والخارجين

مشغولين بالحديث اسرع الفتى فيكتور ومعلمه فدخلا الى الاكاذمية كالبرق ووضعا تلك القصيدة في موضع المراسلات ثم عادا وهما يضحكان وقلب الفتى فيكتور يرقص طرباً واملاً .

وبعد ايام كان فيكتور هيغو يلعب في دار المدرسة واذا باخيه الكبير آبل قد دخل يطلبه . فلما رآه صاح به آبل : تعالَ ايها الابله . من طلب منك ان تذكر سنك في القصيدة التي قدمتها الى الاكاذمية . يا لك من حمار . فان الاكاذمية حسبت ان ناظم القصيدة يهزاء بها بقوله ان سنه ١٥ سنة ولذلك حرمته من الجائزة واكتفت بذكر اسمه بين الفائزين . ولولا ذلك لكانت الجائزة لك

وكان آبل يتكلم وهو يضحك وقلبه ممتلىء سروراً . اما فيكتور هيغو فلو نظر ناظر الى قلبه في ذلك الحين لرآه يخفق خفوق فراشة امسكت من احد جنحيها . وهذا اول فوز ناله فيكتور هيغو في عالم الادب . ومنذ هذا الحين صار معروفاً لان مجرد ذكر الاكاذمية كاتباً بين الفائزين كان سبباً في اشتهاره . وكان هذا الامر شرفاً يصبو اليه كثيرون من الكتاب والشعراء . فكأنّ الاكاذمية مجلس ادبي عالٍ يوزع الشهرة على مستحقيها من رجال الشعر والادب

هيغو والملكية

ومنذ هذا الحين انصبّ فيكتور هيغو على النظم والكتابة فنظم في عام ١٨١٩ قصيدة موضوعها « فوائد التعليم العملي » وقدمها الى الاكاذمية فذكرت الاكاذمية ناظمها بين الفائزين ايضاً . ثم نظم بعد ذلك قصائد موضوعها : عذارى فردون . واعادة تمثال هنري الرابع . وموسى في النيل . والتلغراف . فارتاح الجمهور الى منظوماته واعترف له بالشاعرية . اما انصار الملكية فانهم كانوا يصفقون طرباً لكل قصيدة من قصائد هذا الفتى لانهم وجدوا في كلامه المنمق وعباراته الانيقة وعواطفه التي تلذّ لها الوقفات بين الشؤون الملكية لوصف احوالها السامية ما جعلهم يؤملون ان ذلك الشاعر النابغ بينهم سيكون في المستقبل شاعرهم وحامل لواء مجدهم . ذلك ان فيكتور هيغو كان يومئذ ملكياً بحتاً . وكان لويس الثامن عشر ملكاً لفرنسا في ذلك الزمان وقد دخلها بعد معركة واترلو واسر نابوليون الاول . وكان شاتوبريان الكاتب المشهور يدير يومئذ جريدة « الكونسرفاتور » اي المحافظ وهي جريدة كاثوليكية ملكية غرضها الانتصار للملكية . فانشأ فيكتور هيغو مع اخويه جريدة سماها « المحافظ الادبي » وجعلها بمثابة ملحق لجريدة شاتوبريان . وكان شاتوبريان

يسميه « الفتى العظيم » . وقد دلّ فيكتور هيغو على هذه العظمة منذ صغره فانه كان يحرر جريدته « المحافظ الادبي » وحده مستترًا تحت اسماء مختلفة فكان يكتب فيها في التاريخ والادب والشعر والروايات في آن واحد . وفي ذات يوم نشر في جريدته قصيدة في موت الدوق دي بري فراقت هذه القصيدة للملك ومنحه خمسمائة فرنك جائزة له . وفي عام ١٨٢١ انضمت جريدة « المحافظ الادبي » الى جريدة « اساطير الادب والفنون » ولكن فيكتور هيغو خرج منها

زواجه بسبعمائة فرنك

وفي هذا العام توفيت امه وكان يحبها حبًا شديدًا . فجعلت وفاتها فراغًا حوله فاخذ يفكر بالزواج . وكان فيكتور قد عرف في صباه فتاة تُدعى مدموازل ادال فوشه وكان يحبها اشد حب . وقد كانت الفتاة تحبه ايضًا الا ان اباها لم يرضَ عن هذا الحب لان فيكتور كان فقيرًا لا يملك شيئًا . اما ابوه فانه اقترن بعد وفاة زوجته بالكونتس دي سالكانو ولذلك غضب فيكتو هيغو من عمله وابتعد عنه . على ان ذلك لم يكن يوقعه في الياس بل انه لجاء الى صناعة الادب يفرج بها همه ويطلب منها خبزه . واكرم بها من صناعة تسلي الانسان العاقل عن جميع هموم العالم ومصائب الحياة وتبني له في صميم قلب الانسانية ما يريد بناءه من الآثار الخالدة

فنشر الفتى هيغو في عام ١٨٢٢ كتابًا متضمنًا قصائد مختلفة . فلما اطلع الملك على هذا الكتاب اعجب به ومنح مؤلفه الف فرنك من جيبه الخاص . وكانت المكاتبات في اثناء ذلك دائرة بين فيكتور وحبيبته ادال . وقد نُشرت رسائلهما منذ مدة في كتاب عنوانه «رسائل الى الخطيبة » وكله كلام ارق من النسيم واحلى من الشهد . وكفى ان يقال انه من فيكتور هيغو وتلك النفس اللطيفة التي ملاءها من روحه . فلما راى ابو ادال عند صدور الكتاب الذي تقدم ان الملك يعطف على فيكتور هيغو ويساعده سقطت معارضته في هذا الزواج وعلم ان لصهره مستقبلاً عظيمًا . فكانت خطبة فيكتور هيغو لادال غاية غاياته واقصى امانيه . وقد كتب ابو ادال الى ابي فيكتور هيغو يجيبه الى ما طلبه من تزويج ابنه بابنته وقال له في هذا الكتاب انه من سوء حظه لا يستطيع ان يمنح ابنته من الدوطة الا ما قيمته ثلاثة الاف فرنك من الاثاث . وانه سيخلي للعروسين قسماً في منزله يعيشان فيه بجانبه الى ان يصير فيكتور قادرًا على الاستقلال في منزل وحده . وكان ابو فيكتور هيغو يومئذ في حاجة ايضًا وهو يطلب من لجنة التعويضات العسكرية النظر في ما يستحق من

التعويض عن الخسائر التي اصابته بعد حروب نابوليون . ولما اقترن فيكتور هيغو بحبيبته ادال جاءه ناشر كتابه ودفع اليه سبعمائة فرنك وهي ربحه من الكتاب الذي تقدم ذكره فابتاع العريس بهذا المبلغ لعروسه شالاً كشميرياً . وهذه كانت هدية زواجه وكل ثروته

وبعد الزواج اكبَّ هيغو على الكتابة لعلمه انها مورده الوحيد وسلم ارتقائه في المستقبل . ولم يعقه زواجه عن التفرغ الى عمله . فنشر اولاً رواية « هانديسلاند » دون ان يضع عليها اسمه . وموضوع هذه الرواية تمثيل الهول الانساني وحب الانتقام الفظيع اعظم تمثيل . وقد تحدى فيها الكاتب الانكليزي ولترسكوت لانه كان كثير المطالعة لكتبه . وفي العام الذي صدرت فيه هذه الرواية صدر امر الملك بتعيين راتب سنوي له قدره الفا فرنك . فمنذ هذا الحين تنفس فيكتور هيغو الصعداء وزاد انصباباً على عمله

***

﴿ الحرب الادبية ﴾ وفي هذه الاثناء تالف في باريز حول اسم فيكتور هيغو حزبان كبيران يصح ان يُسميا حزب القديم وحزب الجديد . اما الفرنسويون فانهم يسمونهما حزب الكلاسيك وحزب الرومانتيك . ومعنى الكلاسيك هنا الحزب الذي يوجب على الكتاب اتباع من تقدموهم من مؤلفي اليونان والرومان والفرنسويين وعدم الخروج عن قواعدهم المقررة . ومعنى الرومانتيك الحزب الذي يوجب تقديم قواعد الطبيعة على كل القواعد القديمة والحديثة . فاذا كتب فهو يكتب كما تملي عليه طبيعة الاشياء التي يكتب عنها بصرف النظر عن قواعد المتقدمين . وربما جاز ان يُسمى الحزبان حزب « الاتباع » وحزب « الابتداع » او حزب التقليد وحزب الاستقلال

رئاسته حزب الابتداع

وكان فيكتور هيغو زعيماً لحزب الابتداع . ولا عجب في ذلك فان طبيعته التي سمت عن طبيعة كل شاعر فرنسوي قبله وبعده لجديرة بان لا تجد في من تقدمها شيئاً تقلده وان ترى ببصيرتها النيرة الفراغ الواسع الذي كان في اللغة الفرنسوية

وكان حزب « الاتباع » يباهي براسين وكورنيل وغيرهما من مؤلفي قرن لويس الرابع عشر . اما حزب « الابتداع » فيردُّ عليه بقوله ان المؤلفين الذين نبغوا في ذلك القرن كانت كتاباتهم عبارة عن صورة منعكسة عن هيئة قديمة مبنية على العبودية الادبية والسياسية والاجتماعية . اما اليوم فيجب نبذ تلك الطريقة القديمة وجعل الكتابة في هذا العصر سهلة مطلقة ومنطبقة على حاجاته ومقتضياته . فاصطلت نيران النزاع بين الفريقين وكان الخلاف شديداً حتى

انه لم يبقَ كاتب ولا شاعر الا انضمَّ اليهما . وكثيرون من كتاب الفرنسويين ذكروا في الايام الاخيرة تلك الحرب الادبية فقالوا : سقياً لعصر يصرف اهله همهم الى تعزيز آرائهم الادبية ويقفون حياتهم لنشرها لا ان يجعلوا همهم مصروفاً الى جمع المال للتمتع بملاذ الحياة كما يصنعون في هذا العصر . ولا ريب ان العصر الاول يُثمر ثماراً عظيمة ادبية واجتماعية يكون من ورائها ارتقاء البشر وتحسين الحياة في الارض . واما العصر الثاني فلا يُثمر الا شهوات ومطامع وازدحاماً وحشياً على الرزق وانانية شرسة تقوي الحيوانية في البشر وتُضعف الانسانية

فرغبة في الانتصار لحزب الابتداع انشأ فيكتور هيغو في سنة ١٨٢٣ مع بعض اصدقائه من الشبان جريدة « القريحة الفرنسوية » فدوت حينئذ في قاعات السيدات والسهرات والاندية العمومية والخصوصية صدى الخلاف بين الحزب القديم والحزب الجديد واشتد النزاع بين الفريقين ولكنه لم يكن قد بلغ اشده . وفي هذا العام صالح فيكتور هيغو اباه ونشر في جريدته قصيدة عنوانها « قصيدة الى ابي ». الا انه اقفل هذه الجريدة في العام التالي لينقطع الى التاليف والنظم . وفي هذا العام مُنح هو والشاعر لا مارتين المشهور وسام جوقة الشرف من درجة شفاليه وحضر معه حفلة تتويج الملك شارل العاشر وقد نظم قصيدة في ذلك . وكان فيكتور حينئذ على وفاق تام مع لامارتين وقد زاره في سان بوانت ونزل ضيفاً عنده . الا انهما بعد ذلك تقاطعا « للعداوة الحانوتية » كما جاء في المثل الافرنجي « او لعداوة الصناعة » كما جاء في المثل العربي . وبئست هذه العداوة

ولما انقطع فيكتور هيغو الى التاليف نشر رواية عنوانها « بوك جاركال » ثم نشر منظومات عنوانها بالفرنسوية «اود وبالاد » فكان لهذه المنظومات تاثير عظيم . ثم نشر كتاب « كرومويل » وفيها مقدمة شديدة قطع فيها كل صلة لحزبه مع الحزب القديم . ومما قاله فيها ان حوادث الروايات يجب ان تكون كحوادث الحياة مختلفة متنوعة فليس يجب فيها مراعاة وحدة السياق ولا وحدة الزمان والمكان لان ذلك يخنق حوادثها خنقاً . ثم حمل في المقدمة حملة شديدة على ما في مؤلفات الحزب القديم من الجفاف والجمود والخروج عن الطبيعة بسبب القيود الغريبة التي يتقيدون بها

الشرقيات وليلة هرناني المشهورة

فكان لهذه المقدمة تاثير عظيم على الحزب القديم لانه اعتبرها بمثابة اعلان للحرب فعزموا على مقاومة هيغو واي مقاومة . وفي عام ١٨٢٨ مثل هيغو رواية « أمي روبسار » فحضر

حزب القديم التمثيل ولبث يصفر و يضحك كل الوقت فاضطرت ادارة التمثيل في اليوم التالي ان تبطل تمثيل هذه الرواية . وفي العام التالي نشر هيغو « الشرقيات » وكلها قصائد يصف بها الشرق واحواله وسنعود الى هذا الديوان في فرصة اخرى . فلما نُشرت « الشرقيات » (وقد كاد القلم يكتب « الشوقيات ») ارتاح اليها الجمهور الفرنسوي اشد ارتياح لان ناظمها صوّر الشرق فيها تصويرًا راه الغربيون جديدًا جميلاً . و بعد ذلك نشر كتابه « اليوم الاخير لرجل حُكم عليه بالاعدام » وفيه احتج على عقاب الاعدام لانه كان من اشد المعارضين فيه . وفي عام ١٨٢٩ رام تمثيل رواية عنوانها « ماريون ديلورم » فمنعه قلم المراقبة من ذلك لما ورد فيها عن لويس الثالث عشر . ومن حسن حظه انه كان قد الف رواية « هرناني » ايضًا فدفعها الى التمثيل تعويضًا عما فاته . فسعى انصار الحزب القديم لدى الملك شارل العاشر لمنع تمثيلها فاجابهم الملك « انني سئمت مسالة الروايات رجل مثلكم ما عليّ الا مشاهدتها » . وفي الليلة التي مُثلت فيها هذه الرواية قامت قيامة الناس في قاعة الملعب . فقد حضر الى هذه القاعة اربعمائة شاب من الحزب الجديد وكثيرون من الحزب القديم . الاولون للتصفيق والاستحسان والآخرون للتصفير والضحك والاستهجان . وكان كل فريق عازمًا على انفاذ غرضه وان افضى الامر الى الضرب . فحدث حينئذ في القاعة حادث في غاية الغرابة . فانه لما كان بطل الرواية يقول افواله البديعة كان الحزب الجديد يصفق تصفيقًا يرتج له المكان و يصيح برافو برافو بينما كان الحزب القديم يصفر و يضحك و يصرخ صراخ الاستهجان . وقد قص الكاتب المشهور سنت بوف هذه القصة فقال ان الاستحسان كان اشد من الاستهجان فان رواية هرناني ضعضعت مبدأ الكلاسيك ودفعت مبدأ الرومانتيك مائة خطوة الى الامام . وقد مُثلت هذه الرواية ٤٥ مرة في سنة ١٨٣٠ وحدها وبها فازت الطريقة الرومانتيك فوزًا مبينًا

عدة مؤلفات

ومنذ هذا التاريخ صار الجمهور ينتظر مؤلفات هيغو و يعتبر صدور كل واحد من كتبه حادثًا عظيمًا . فكتب الكاتب بعد ذلك رواية « كنيسة نوتردام دي باري » ونشرها في عام ١٨٣٠ فقراها الناس بارتياح شديد . وفي هذا العام ثار شعب باريز على الملك شارل العاشر فاستقال هذا الملك والتجاء الى انكلترا فاغتنم صاحب الترجمة هذه الفرصة وسعى في تمثيل روايته « ماريون ديلورم » التي منع قلم المراقبة تمثيلها في عهده . ثم نشر ديوانًا عنوانه « اوراق الخريف » وموضوعه وصف شؤون وعواطف بيتية وصفًا في

غاية الرقة والانسجام . وفي عام ١٨٣٢ عاد الى فن التمثيل فوضع رواية « الملك يتسلى » ولكن قام في اثناء تمثيلها بين الحزب القديم والحزب الجديد نزاع شديد اضطر ادارة التياترو الفرنسوي الى ابطال تمثيلها . فرفع صاحب الترجمة الى محكمة التجارة قضية على هذه الادارة لابطالها روايته فخسر القضية . فوضع المؤلف بعدها رواية « لوكريس بورجيا » فاصابت نجاحاً عظيماً عوضه ما فاته في الرواية السابقة وزاد اسمه ارتفاعاً بين المؤلفين . وقد مثلت الممثلة مدام ردوه اهم ادوار هذه الرواية فاحبها هيغو حباً درى به الجميع حتى زوجته ادال المسكينة . فآلمها ذلك وسحق قلبها سحقاً

ثم نشر هيغو في عام ١٨٣٣ « ماري تودور » وتلتها « كلود كو وبحث في ميرابو وانجيلو ظالم دي بادو » ثم تلاها في سنة ١٨٣٥ ديوان « نشيد الشفق » وفي ١٨٣٧ « الاصوات الباطنية » وفي ١٨٣٨ رواية « البورجراف » وفي ١٨٤٠ ديوان « الاشعة والاظلال » فبلغ بها هيغو ارفع منزلة بين شعراء عصره وصار المشار اليه بالبنان . وكان عمره يومئذ ٣٨ سنة . وكان شعب باريز يحوم في كل مساء حول منزله ليشاهده مع انصاره فكان هيغو يخرج الى شرفة منزله لمقابلته . غير ان كثيرين من خصومه كانوا يفضلون عليه شاعراً نسي الفرنسويون اسمه اليوم وهو الشاعر بونسارد وكان بعضهم يقول : تباً لزمن يجوز فيه لاناس كهيغو نظم الاشعار

تاثيره وحكم المسيو هانوتو عليه

وفي عام ١٨٤٢ وضع صاحب الترجمة كتاباً اسمه « الرين » اقترح فيه رغبةً في استواء ميزان السياسة في اوربا ان تُقسم ممالكها بين فرنسا وبروسيا . وبعد ذلك بقليل دخل الى ميدان السياسة . وبما اننا وصلنا الآن الى اهم الادوار في ترجمة صاحب الترجمة فقد وجب ان نضع لذلك تمهيداً سياسياً وجيزاً . غير اننا قبل ذلك نختم الكلام عن الحرب الادبية التي اثار غبارها على كتّاب زمانه بقولنا ان فيكتور هيغو قداحي في فرنسا فن تاليف الروايات وتمثيلها لانه منح الملاعب الفرنسوية حريتها المطلقة وفكها من قيد وحدة السياق ووحدة الزمان والمكان الذي كانت تتقيد به قبله . وقد بثّ في لغتها روحاً طبيعياً جديداً احيى به فنّ الشعر وغير طريقة الكتابة والتاليف . ولذلك قال المسيو هانوتو في الخطاب الذي تلاه في يوم الاحتفال العظيم الذي اقيم له في الباتيون في الشهر الماضي من قِبل الاكاذمية الفرنسوية الذي كان مديرها في هذا العام « اذا حلّت بمؤلفات فيكتور هيغو مصيبة افنتها وذهبت بها فان اثره لا يذهب بذهابها لان التاثير الذي كان له على اللغة

الفرنسوية يبقى فيها ما بقيت هذه اللغة في حيّز الوجود » وكفى بذلك ثناءً على عمل هيغو الادبي . فلننظر الآن في عمله السياسي

***

﴿ الحرب السياسية ﴾ وتمهيداً لذلك نذكر لمحةً من تاريخ فرنسا منذ الثورة اتماماً للفائدة وايضاحاً للحوادث التي سيرد ذكرها

تاريخ ٤٠ عاماً

بعد اعدام الملك لويس السادس عشر وقيام الجمهورية كما نقصّ ذلك في روايات (نهضة الاسد وفريسة الاسد) بات الفرنسويون حزبين . حزب الملكية الساقطة وحزب الجمهورية الناهضة . ثم ساد الاضطراب في الدولة لان الجمهورية كانت في دور الطفولية واشتدّ الاضطراب حتى قام نابوليون الاول واغتصب الحكم واعاد النظام الى الدولة . ولكن نابوليون من سوء حظه وحظ فرنسا ايضاً كان طماعاً لا يهنأ له عيش الا اذا اخضع اوربا كلها فحارب بروسيا والنمسا وايطاليا وروسيا واسبانيا وانكلترا فغلبها كلها حتى اضطر اوربا الى الاتحاد عليه وكان قد جاء اجله فانتصرت عليه في وقعة واترلو المشهورة . ولما سيق نابوليون اسيراً الى جزيرة القديسة هيلانه اعادت اوربا الى عرش فرنسا الكونت دي بروفنس اخا الملك لويس السادس عشر الذي قُتل وقد سمي (لويس الثامن عشر) . اما ابن الملك لويس السادس عشر الذي كان من حقه الملك فان المهاجرين من فرنسا نادوا به بعد مقتل ابيه ملكاً وهو في السجن وسموه لويس السابع عشر . غير انه توفي بعد حين في السجن وبعضهم يزعم ان انصاره خطفوه منه ووضعوا مكانه صبياً نحيف الجسم فمات هذا الصبي بعد حين

ولما تولى الملك لويس الثامن عشر حدث رد فعل في افكار الملكيين فاخذوا يضايقون الحرية العمومية حتى اضطر هذا الملك الى حلّ البرلمان ارضاءً للجمهوريين الذين كانوا يحركون الافكار عليه . وذلك مما يدلّ على ان اصطدام الافكار والمبادىء بين الملكيين والجمهوريين كان مستمرّاً ولم يقف ابداً . وقد عاصر فيكتور هيغو هذا الملك كما تقدم . وبعد لويس الثامن عشر ولي شارل العاشر وهو اخوه ايضاً وذلك في عام ١٨٢٤ ولكن الجمهوريين والبونابرتيين اثاروا الشعب عليه في عام ١٨٣٠ فتنازل عن الملك ولجأ الى انكلترا . وكان لهذا الملك اخ ثانٍ يُدعى فيليب وكان مشهوراً بميله الى المبادىء الحرة فولاه الشعب الملك وسمي « لويس فيليب » وفي ايامه دخل هيغو الى ميدان السياسة كما تقدم

وكان لويس فيليب يميل الى هيغو ويعجب بمواهبه وقد اهداه رسماً جميلاً يمثل تتويج اينس دي كاسترو . وكان هيغو من المعجبين بحوادث نابوليون الاول وقد نشر في عام ١٨٤٠ ديوانًا عنوانه « قصائد عن نابوليون » فيه ابلغ وصف لعظائم نابوليون وعجائبه الحربية . فلم يسخط لويس فيليب من ذلك الثناء على خصم اسرته بل رقى ناظمه الى مجلس النبلاء وجعله عضوًا له باسم الفيكونت فيكتور هيغو . وقد القى فيكتور هيغو في هذا المجلس عدة خطب في الانتصار لبولونيا والاذن لاسرة بونابرت في العودة الى فرنسا وغير ذلك . وفي عام ١٨٤٨ ثار شعب باريز على حكومة الملك لويس فيليب لان رئيسها المسيو كيزو كان واقفًا في وجه كل اصلاح وقد منع بعضًا من انصار حزب الاصلاح من اقامة اجتماع في المدينة . فتنازل حينئذ الملك لويس فيليب عن الملك لحفيده الكونت دي باري ولكن الشعب رفض ذلك والف حكومة وقتية نادت مرة ثانية بالجمهورية . وهي الجمهورية الثانية

وكان فيكتور هيغو في اثناء ذلك من حزب اليمين اي الملكيين الا ان كتاباته يومئذ كانت تدلُّ على دخول روح حر جديد الى نفسه . وقد انشأ في هذا العام مع ولديه شارل وفرنسوى هيغو جريدة سماها « الافخمان » اي الحادثة وانتصر فيها اشد انتصار للويس بونابرت الذي كان مرشحًا نفسه لرئاسة الجمهورية مع ان لا مارتين كان يعارض في هذا الامر مع كل الحزب الجمهوري معارضة شديدة . ومن هو لويس بونابرت هذا ؟ هو الرجل الذي اصبح بعد ذلك « الامبراطور نابوليون الثالث » فيا لغرابة الحوادث البشرية التي جعلت هيغو يحث الحكومة على ارجاع اسرة بونابرت الى فرنسا وينتصر لزعيمها الذي طلب النيابة عن الشعب في مجلس النواب فرئاسة الجمهورية نفسها رغبة في ان يصنع بها ما صنعه عمه نابوليون الاول — ثم ينقلب عليه ليهدم العرش الذي ساعده على بنائه

نفيه والصراع بينه وبين نابوليون الثالث

وفي ٢ دسمبر من عام ١٨٥٢ اغتصب لويس بونابرت الحكم وهو رئيس الجمهورية ليجعل نفسه امبراطورًا فثار شعب باريز لهذا السبب . ووقف الفيلسوف جول سيمون في قاعة مدرسة السوربون يصيح من منبر الخطابة : قد داس الدستور ذلك الذي عُهد اليه ان يصونه . فعزل الفيلسوف في اليوم الثاني من وظيفته فتركها غير آسف عليها لانتصاره للحق ودستور الدولة . اما فيكتور هيغو فان روحًا جديدًا دبَّ يومئذ في نفسه . فقد تمثلت له الجمهورية فتاة ضعيفة جاءها رجل قوي وقتلها فقام في نفسه في الحال ان ينتصر للضعيف ضد القوي . ومنذ هذا الحين صار جمهوريًا بحتًا واصبح اشد الجمهوريين انتصارًا للحرية

وقد ذكر جول سيمون في كتاب له صدر في هذا العام وموضوعه تاريخ حياته ان فيكتور هيغو التقى به في اثناء هذه الثورة وقال له هل تظن اذا جعلت الجنود يقتلونني ان الطلبة يثورون ثورة واحدة انتصارًا لي . فاجابه جول سيمون لا ريب في ذلك عندي . فقال فيكتور هيغو سنرى . ثم سار الى حي الطلبة . فسال احد الواقفين جول سيمون هل تظنه يقتل نفسه فاجاب هذا الاستاذ الكبير الذي خبر كل شؤون الحياة : ربما ولكن حي الطلبة بعيد من هنا . . .

وقد حاول فيكتور هيغو اثارة الشعب في ذلك اليوم ثورة تسقط المغتصب عن عرشه فلم يستطع ذلك مع ما نشره من المنشورات والمخاطبات للامة . فلما تحقق ارتخاء عزائم الشعب وخيبة مساعيه رام السفر الى بلجيكا فارسل اليه نابوليون الثالث سيدة تقول له : ما رايك في مصالحة الامبراطور . فاجاب صاحب الترجمة انه لا يصالح . فقالت له وان فتحت الآن هذا الباب ودخل منه الامبراطور الى بيتك فماذا تقول له . فاجاب اقول له انك في بيتك ثم انني اخرج واذهب في سبيلي

وفي ١١ ديسمبر من ذلك العام اي بعد مرور تسعة ايام على يوم الاغتصاب سافر فيكتور هيغو الى بلجيكا منفيًا من وطنه مع كثيرين من الحزب الجمهوري . فاقام في بروكسل واخذ يشتغل فيها للانتقام من نابوليون . فساعدته الاحوال في ذلك مساعدة ما قبلها ولا بعدها مساعدة . فقد كان الحزب الجمهوري متفرق الكلمة وهو بحاجة الى نفير يدوي صوته في كل الضمائر الحية فينبه الغافلين ويحمس الساهرين ورواية عالية تبقى منصوبة بكبرياء وعظمة امام عدو الجمهورية : فكان هيغو ذلك النفير وتلك الراية . وكانت اوربا كلها تنظر الى فرنسا بعين الحيرة والخوف لعودة الامبراطورية البونابرتية اليها . فلما اصدر هيغو من بلجيكا ديوانه « نابوليون الصغير » يعني نابوليون الثالث تزعزع له العرش الامبراطوري وتخاطفه الناس في اوربا كلها . فضغطت حكومة نابوليون على بلجيكا لتطرد صاحب الترجمة فسنت بلجيكا نظامًا جديدًا يقضي بخروجه من بلادها . فنفض صاحب الترجمة عن حذائه غبار الاضطهاد وسار الى جزيرة جرسي الانكليزية مصطحبًا ابنته ادال وزوجته ونجليه فرنسوى وشارل فوجد في هذه الجزيرة كثيرين من رفاقه الجمهوريين وهم ينشئون فيها جريدة تدعى « الانسان » يطعنون فيها على الامبراطورية طعنًا شديدًا . فاستقبله هؤلاء الرفاق اكرم استقبال وصار زعيمًا لهم . ولما استقر به المقام في هذا الملجاء اعاد الكرة على نابوليون فنشر ديوانًا عنوانه « العقاب » فكان ابلغ ما خطته يد انسان في الطعن على خصم او عدو . وصار

الناس في جميع البلاد المتمدنة لا يهناء لهم عيش الا اذا قراءوا ما يكتبه شاعر الجمهورية عن قاتلها ومغتصب حقها . فادرّت هذه الكتب على مؤلفها اخلاف الثروة وهو في منفاه وشفت غليل نفسه الشديدة البغض والحب بالانتقام من نابوليون . ولكن نابوليون انتقم منه ايضاً بان جعل حكومة انكلترا تطرده من جرسي فسار الى جزيرة كيرنيزه وابتاع فيها منزلاً جميلاً كان مهملاً لان السكان كانوا يزعمون ان الارواح اتخذته مسكناً لها . واسم هذا المنزل « هوتفيل هوس » واليه يحج اليوم كل المعجبين بهذا الشاعر . ومن هذا المنزل صدرت كثير من كتب المؤلف اهمها « التاملات » و « خرافات القرون الخوالي » « وشكسبير » و « عملة البحر » و « الادب ممزوج بالفلسفة » و « اغاني الشوارع والغابات » و « الرجل الضاحك » .

البيزرابل

ولكن اهمّ هذه المؤلفات كتابه « الاشقياء » او التعساء او البؤساء (البيزرابل) وقد اظهر فيه المؤلف فلسفته وكل قوى نفسه الشعرية والاجتماعية . وموضوع هذه الرواية لص يرفعه المؤلف فيجعله رجلاً كريماً شريف الاخلاق وامراة ساقطة ينهضها المؤلف ويرفع نفسها . ويتخلل ذلك حوادث تاريخية وادبية واجتماعية لم يخط مثلها قلم على قرطاس . وقد كتب المؤلف في مقدمته يقول انه ما دام في الوجود شقاء وفقر وسجون وظلم اجتماعي فان كتاباً ككتابه يبقى نافعاً

ولما انتشر هذا الكتاب كان انتشاره حادثاً عظيماً . وقد ارادت حكومة باريز حذف شيء منه لانه طُبع في باريز فبعث المؤلف الى ناشره يتوعدها بقوله ابلغهم انهم اذا اصروا على الحذف فانني اعود الى « نابوليون الصغير » و « العقاب » فتركته حينئذ حكومة نابوليون وشانه خوفاً من قلمه الذي كان مداده الكهرباء وكلماته الصواعق . وقد صار منزل مؤلف هذا الكتاب بعد صدوره مقصداً لاهل العلم والادب والشعر فكانوا يحجون اليه من كل اقطار العالم ليشاهدوا نصير الانسانية ومحامي الضعفاء

انتصاره على نابوليون

وكانوا اذا قالوا له لماذا تصرُّ على ابتعادك عن وطنك فان الامبراطورية صارت في جاه وعز وارتفعت كلمة فرنسا في العالم . فانه كان يجيبهم بقوله انتظروا : فعند صفو الليالي يحدث الكدر . واذا قالوا له ان اصدقاءك يسالمون الامبراطورية واحداً واحداً فانه كان يقول في شعره : ولو لم يبقَ الا واحد امينًا للحرية فانني ساكون ذلك الواحد . ولما اصدرت

الحكومة الفرنسوية قراراً بالعفو العام وعودة كل المنفيين الى وطنهم رفض صاحب الترجمة قبول هذا العفو والعودة الى وطنه قبل ان تعود الحرية اليه. وكان يصرف اكثر اوقاته على شواطيء جزيرة كيرنيزه بين الرمال والصخور متاملاً في الطبيعة ودارساً عناصرها ومناجياً نفسه بالمواضيع التي يروم التاليف فيها . وقد اقام في منفاه نحو ٢٠ عاماً

ولو ان نابوليون الثالث فاز في سياسته ولم يدفع فرنسا الى محاربة المانيا لما انتصر هيكو عليه ذلك الانتصار الهائل ولما كان لصوته الصدى الذي له الآن . ولكن نابوليون كان قد سكر بخمر الفوز ورأى اوربا كلها تحت يده فرام ان يحذوا حذو عمه . فحاربه الالمانيون في سنة ١٨٧٠ واسروه في واقعة سيدان ونادى الشعب في باريز بسقوط الامبراطورية وقيام الجمهورية . فلما سمع صاحب الترجمة بذلك اسرع الى باريز قبل ان يحصرها العدو فدخل اليها باحتفال عظيم . وقد كان دخوله اليها دخول نبي تنبأ « بعقاب » المغتصب وسقوط عمله فصدقت نبوءته . ومما زاده رفعة انه كان من اكبر المساعدين على هذا السقوط لان قصائده المملوءة تهكماً هائلاً وطعناً قاتلاً كانت تصغّر نابوليون في عيون اوربا وفرنسا معاً وتُضحك الناس منه ضحكاً متتابعاً تتضعضع له اقوى العروش واسماها . وهكذا انتصر هذا الشاعر في حربه السياسية كما انتصر في حربه الادبية

هيغو في الحرب وبعدها

ولما عاد صاحب الترجمة الى باريز وحصرها العدو صار نقطة دائرة الادب واصبح صوته نفيراً رناناً يبث الحياة والحرارة في نفوس المحصورين ويحثهم على الحرب والمقاومة . وكان ينشر القصيدة بعد القصيدة في هذا الموضوع . وبعد الحرب جمع هذه القصائد فتالف منها ديوانه « السنة الهائلة » . وفي اثناء الحصار اعاد طبع كتابه « العقاب » وخصص ايراده بصنع المدافع للاستمرار في الحرب ومساعدة المستشفيات . فكانه كان يومئذ حياة باريز وروحها يحث على الدفاع عنها الى آخر نسمة من حياته . وبعد سقوط باريز في يد العدو ثار الشعب على الحكومة الجمهورية الوقتية التي تالفت يومئذ لانه كان في ريبة من اخلاصها للحرية بسبب ما كان يراه من مؤامرات الحزب الامبراطوري والملكي . وهذه الثورة تُعرف في تاريخهم بثورة « الكومون » وقد استولى الشعب فيها على باريز وحارب الحكومة وكانت قد فرت منه برئاسة المسيو تيبرس الى فرساليا فجرت الدماء انهاراً من الفريقين . اما فيكتور هيكو فانه رمى بنفسه بين الحزبين فعارض حزب الكومون في ما قرره من هدم عمود فندوم الذي كان قائماً عليه تمثال نابوليون الاول وحثه على ترك الفظائع

وعارض حزب الحكومة لما راى جنودها تفتك برجال الكومون كانهم اعداء في ساحة حرب لا ابناء وطن واحد . ثم انتخب الشعب في باريز صاحب الترجمة عضوًا في مجلس النواب الذي كان مجتمعاً في بوردو فعارض هيكو في عقد الصلح واصرَّ مع غمبتا على وجوب الاستمرار في محاربة الالمانيين . وبينما كان في ذات يوم يخطب في المجلس و يمدح غاريبالدي الايطالي قطع كلامه الحزب الامبراطوري والملكي غير مرة وكادوا يمنعونه من الكلام بخصوصائهم فاستقال يومئذ من المجلس

وفي عام ١٨٧٢ انشاء مع ابنه فرنسوي جريدة ديموقراطية سماها « الشعب الملك ». وفي عام ١٨٧٦ انتخب عضوًا لمجلس الشيوخ فالقى فيه خطبة دافع بها عن رجال الكومون . ثم انصرف الى النظم والتاليف . فنشر الكتب التالية « الاقوال والاعمال » وقد قصد به ذكر المبادىء التي تقلب بينها في اثناء حياته الادبية والسياسية ليبرىء نفسه بسبب انحيازه الى الجمهورية . و « سنة ٩٣ » وموضوعه وصف في غاية السمو لاهوال دوار الثورة الفرنسوية . و « كيف تكون جدًا » وهو يتضمن قصائد عيلية ورد فيها وصف حفيده جورج وحفيدته جانّ اللذين كان يلاعبهما وقد خلد اسمهما بهذا الوصف وهذه الملاعبة . ولا يزال الآن جورج في قيد الحياة وقد كتب قبل الاحتفال الذي اقيم لجده في الشهر الماضي مقالة في احدى الجرائد الفرنسوية ذكر فيها كيف كان جده يلاعبه هو وشقيقته جانّ وكيف كانوا ينادونه « بابابا » . وقد حضرت اخته جانّ الاحتفال بعيد جدها فكان الناس يقولون عند رؤيتها هذا جورج وهذه جانّ اللذين وصفهما شاعرنا . فلا ريب انهما كانا في ذلك اليوم حبيبين الى كل القلوب

وفي عام ١٨٧٧ نشر صاحب الترجمة « تاريخ جناية » يريد جناية اغتصاب نابوليون الثالث للملك . وقد نشر هذا الكتاب قبيل الانتخاب العمومي ليؤثر على الراي العام ويذكره بالاغتصاب فينتخب للنيابة الجمهوريين دون سواهم . فكان لهذا الكتاب دوي عظيم في فرنسا واوربا . ثم نشر من عام ١٨٧٨ الى عام ١٨٨٣ « خطب فولتير » و « ملك الجمهور » و « البابا » و « الشفقة العليا » و « الحمار » و « الديانة والديانات » و « اربع جوانب العقل » و « تور كاده » و « ارخبيل المانش »

احتفال الشعب بحياته ومماته

وفي عام ١٨٨٢ بلغ صاحب الترجمة الثمانين من عمره . فقامت باريز وقعدت في ذلك اليوم احتفالاً بهذا العيد . فان خمسمائة الف نفس من الشعب توافدوا من جوانب باريز

الاربعة على نغم الآلات الموسيقية الى منزل هذا الشيخ الجليل . وكانوا ينادون بعضهم بعضاً في الطرق هلموا هلموا الى معايدة « الاب هيكو » . فلما اطلّ جمعهم على منزله صعد الشيخ الجليل الى شرفة المنزل مع حفيديه جاك وجان وحينئذ حدث حادث لم ترَ مثله عينان ولم تسمع به اذنان . فان الوفاً من الشعب رفعت في الفضاء ايديها كعابات مشتبكة هاتفة « فليحيي الاب هيكو » وهيكو يبكي وهو واقف على الشرفة بين حفيديه ويشير مسلماً ومرسلاً اليهم القبلات العديدة . وقد استمر واقفاً هنالك نحو ساعة والالوف تسير امامه على نغم الموسيقى وتجدد الهتاف له . ولم يكن هذا العيد عيد هيكو ولكنه كان عيد امتزاج روح الشعب بالعقل العظيم والقلب الكريم الذي وقف نفسه لخدمة بني جنسه

ولم تحتفل به باريز يومئذ ذلك الاحتفال الذي لا يزال له تاثير الى اليوم في نفوس اهلها الا لان الشيخ هيغو اصبح في ذلك الزمن روح عصره وشيخ الحرية وملاك الانسانية . وكانت الحيوانية التي املت عليه ذلك البغض الشديد لنابوليون الثالث وحكومته قد أفلتت من جسمه بعد الانتصار وبلوغه أقصى حدود الشيخوخة كما يُفلت الماء متبخراً من القدر المنصوبة على النار . ولم يبقَ في ذلك الهيكل الضخم الذي كان يكلله تاج من الشيب الجليل المهيب كانه قمة شامخة من قمم حملايا او الالب سوى الانسانية الرقيقة الشفوقة التي تذوب حناناً وشفقة على مصائب البشر وتعاستهم . ففي هذا الزمن كان هيغو يقول في شعره « بارك الله في من يحبني وفي من يبغضني » وايضاً « لو وقع في يدي من يروم اضطهادي ونفي لاحسنتُ اليه وعطفت عليه . ولو كنتُ يسوع المسيح لانقذت يهوذا الاسخريوطي » وبناءً عليه كان هيغو بمثابة جد واب لابناء عصره بل كان بمثابة اثر جليل من عصر تاريخي قديم . وكانوا يسمونه « الاب » من فرط احترامهم له وكان منزله في باريز كعبة يحجُّ اليها اهل العلم والسياسة والادب من كل اقطار العالم .

وفي عام ١٨٨٥ بلغ الشيخ هيغو اقصى حدود الشيخوخة فلما دنا اجله اقام اثنين من اصدقائه لتنفيذ وصيته ونشر ما بقي غير منشور من مؤلفاته . وكان من جملة ما اوصى به ان يُدفن في نعش الفقراء ليجعل نفسه قريباً من الشعب في وفاته كما كان قريباً منه وخادماً له في حياته . وقد اقام هيغو ثمانية ايام في النزع . ولما اتمّ انفاسه ونودي في العالم ان فيكتور هيغو فرجيل المتأخرين وهومير الفرنسويين قد مات قامت فرنسا قومة واحدة الى منزله . وبكى الشعب وفاة «ابيه» والشعراء وفاة زعيمهم . واوفدت الحكومات الاوربية والمجامع العلمية والادبية وفوداً لحضور جنازته . فشيعت جثة الفقيد العظيم على نعش الفقراء

الى البانثيون وسط زحام هائل لم يسبق له مثيل . وكان لسان حال كل واحد من مشيعيه ينشد ما قاله جناب شوقي بك فيه

ستدوم ما دام البيان وما ارتقت ... للعالمين مدارك وشعورُ
ولئن حُجبتَ فانت في نظر الورى ... كالنجم لم يُرَ منه الا النورُ
لولا التقى لفتحتُ قبرك للملا ... وسألتُ اين السيد المقبورُ
ولقلتُ ياقوم انظروا انجيلكم ... هل فيه من قلم الفقيد سطورُ
مَنْ بعده ملكُ البيان فعندكم ... تاج فقدتم ربه وسريرُ
مات القريض بموت هيغو وانقضى ... ملك البيان فانتم جمهورُ
فقدت وجوه الكائنات مصورًا ... نزل الكلام عليه والتصويرُ
كشف الغطاء له فكل عبارة ... في طيها للقارئين ضميرُ
مسلي الحزين يفكه من حزنه ... ويرده لله وهو قريرُ
ثأر الملوك وظل عند ابائه ... يرجو ويأمل عفوه المثؤورُ
واعار وانزلو جلال يراعه ... فجلال ذاك السيف عنه قصيرُ
انت الحقيقة ان تحجب شخصها ... فلها على مر الزمان ظهورُ
ارفع حداد العالمين وعد لهم ... كيما يعيّد بائس وفقيرُ
وانظر الى البؤساء نظرة راحم ... قد كان يسعد جمعهم ويجيرُ
الحال باقية كما صورتها ... من عهد آدم ما بها تغييرُ
البؤس والنعمي على حاليهما ... والحظ يعدل تارة ويجورُ
ومن القوي على الضعيف مسيطر ... ومن الغني على الفقير اميرُ
والنفس عاكفة على شهواتها ... تاوى الى احقادها وتثورُ
والعيش آمال تجدّ وتنقضي ... والموت اصدق والحياة غرورُ

فكان هذا الاحتفال بماتم الفقيد اعظم احتفال جرى في باريز كما قيل

***

﴿ احتفال الجمهورية بتذكاره ﴾ ولكن بعد انقضاء ١٧ عامًا على ذلك الاحتفال اقيم لفيكتور هيغو احتفال آخر يشبهه . فان الجمهورية الفرنسوية قررت في هذا العام الاحتفال بتذكار مرور مائة سنة على هذا الشاعر (لانه ولد في عام ١٨٠٢ كما تقدم) وقد اقامت في ٢٦ فبراير هذا الاحتفال امام قبر الفقيد في البانثيون فحضره كل ذي شهرة في

باريز في العلم والسياسة والرئاسة وفي مقدمتهم وكلاء الدول ووفود من النمسا وبلجيكا وايطاليا وغيرها . وقد خطب وزير المعارف في هذه الحفلة امام رئيس الجمهورية فكلل الفقيد بازهار البلاغة والثناء وختم خطبته بقوله : انني باسم الجمهورية الفرنسوية احيّيك ايها الشاعر العظيم الذي اطلق الفكر البشري وزاد في حريته والبس وطنه رداء المجد وجعل الانسانية اكرم مما كانت واكثر حناناً » — ثم تلاه المسيو هانوتو بالنيابة عن الاكاذمية الفرنسوية وقد ذكرنا في اثناء الكلام عن الحرب الادبية في هذه المقالة خلاصة ما قاله في هذه الخطبة عن تاثير هذا الشاعر . انما نقول في هذا المقام ان فيكتور هيغو طلب الدخول في الاكاذمية مرتين قبل نفيه من فرنسا فكانت الاكاذمية يومئذ تفضل عليه اناساً نسي الفرنسويون اسماءهم اليوم . ولم تقبله الا في المرة الثالثة

وفي هذا اليوم الذي حضر فيه رئيس الجمهورية والوزراء والكبراء هذه الحفلة في الپانثيون حضروا ايضاً حفلة اقيمت في « ساحة فيكتور هيغو » في باريز امام المنزل الذي كان يسكنه الفقيد في حياته . وفي هذه الحفلة كُشف الستار عن التمثال الذي انشىء لفيكتور هيغو في هذه الساحة المسماة باسمه . وقد زُين المنزل والتمثال اجمل زينة ونصب فوق البيت جسم بلوري يمثل فتاة تحمل بيدها مصباحاً وقد رمزوا بها الى « ملاك الشهرة » وهو يهبط عليه في بيته . وقد انير هذا الجسم في الليل فكان له منظر يسحر الالباب

وقد اقيمت في ذلك اليوم احتفالات عظيمة في ايطاليا والنمسا وبلجيكا ومصر وكل المستعمرات والمدن الفرنسوية اكراماً لهذا التذكار ايضاً . واشترك في هذه الاحتفالات جميع العالم المتمدن في كل الاقطار . ولم تخلُ جريدة من جرائد الدنيا في ذلك الاسبوع من الكلام عن صاحب الترجمة

اما المسيو ادمون روستان شاعر فرنسا اليوم فانه صرف ذلك اليوم في قرية « هرنانني » الاسبانية التي سمى هيغو احسن رواياته باسمها وقد تقدم ذكرها في هذه المقالة . وقد نظم في هذه القرية قصيدة طويلة اهداها الى جناب المسيو « بول موريس » صديق فيكتور هيغو ومنفذ وصيته والساعي في انشاء تمثاله . وقد نشرت هذه القصيدة في جريدة الغولوى اولاً ثم جُمعت في كراس على حدة . وفي ختامها يقول هذا الشاعر ما خلاصته « كنا اليوم تلامذة الاستاذ هيغو . فابتسم لنا ايها الاستاذ وامنحنا الثقة بانفسنا لنستطيع ان نجترىء ونمسك القلم بعدك » وقد ذكرنا هذا الخبر لان هذا الثناء اعظم ثناءٍ يُقال في فيكتور هيغو

وهذه القصيدة مطبوعة في ٣٠ صفحة على ورق صقيل جميل . ولدينا منها نسخة واحدة نقدمها هدية لمن يسبق الى طلبها من حضرات القراء

***

﴿ ترجمة احدى قصائده ﴾ ولقد ذكرنا مؤلفات هيغو في ما تقدم وبقيت له مؤلفات اخرى كثيرة نُشرت بعد وفاته وهي « اطلاق فن التمثيل » و « عاقبة الشيطان » و « الله » و « اشياء منظورة » و « كل القيثارة » و « الاوفيانوس » و « في السفر » و « فرنسا و بلجيكا » و « الالب والبيرينه » وغيرها من المؤلفات العديدة التي لم يتم نشرها الا في هذا العام اذ نُشرت فيه خاتمتها وهي ديوان عنوانه « النبتة الاخيرة » . وسنلخص للقراء في الجزء القادم شيئًا من اهم الكتابات التي كتبها هيغو لاطلاعهم على آرائه وفلسفته المبنية على المبادىء الانجيلية الاشتراكية . اما الآن فنكتفي بنشر ترجمة احدى قصائده في نابوليون الاول الذي كان هيغو يجله بقدر ما كان يحتقر نابوليون الثالث كما تقدم . وقد اتحفنا بهذه القصيدة احد اصدقاء المجلة

نابوليون الاول

ملخصة من قصيدة لفيكتور هيغو صاحب الترجمة بقلم جناب الشاعر الناثر طانيوس افندي عبده المحرر في جريدة البصير الغراء

يُمثَّل لي حتى يُجَسَّم في فكرى ... ويعظم بي حتى يضيق به صدرى
واطلق افكاري ارتيادًا لوصفه ... فالقاه مني فوق مرتبة الفكرِ
وانظم فيه الشعر رفعًا لقدره ... فيغلو به شعري ويعلو به قدري
ويخفق مني القلب حين احتلاله ... لقلبي فيمسي في احرّ من الجمرِ
اراه وقد خاض الصفوف مظفرًا ... بطعنته النجلاء والفتكةِ البكر
يشاغل عن بيض وسمر فؤاده ... ويبني اساس العرش بالبيض والسمر
اراه وقد قاد الالوف فما مشى ... الى الحرب الا تحت الوية النصر
يسيّر للاعداء ابطال جيشه ... فيسبق هذا الجيش جيش من الذعر
اراه بوادي النيل والجند حوله ... ظماءً الى مجد عطاش الى نخر
يقول انظروا الادهار ترنو اليكمُ ... مشيرًا بيمناه الى هَرَميْ مصر
اراه وقد اضحى بباريس فنصلاً ... ولم يتمادى بعد في حلبة العمر

يؤيد جمهورية القوم ظاهرًا ... ويهدمها كي يبلغ الملك بالسر
اراه مليكاً لم يخف جور دهره ... وقد كان يخشى ان يجور على الدهر
يقلد تيجانًا وينشي ممالكًا ... وينظر بسَّامًا لكوكبه الدري
اراه ولا كفران تبسط نفسه ... له فتح ابواب السماوات بالقسر
فلم يبقَ ما بين السماء وتاجه ... باعين اصحاب المجاز سوى فتر
اراه اسيرًا في بقاع جزيرة ... تسامت به حتى غدت ربة البحر
مقيماً على صخر يرى عرشه وقد ... تصدع لما لم يؤسس على صخر
فلما دعا داعي المنون ومثَّلت ... لعينيه اشباح الردى هوَّة القبر
واطفأ ريب الدهر انوار نجمه ... وقصت يداه جانحي ذلك النسر
وفكَّر في ماضيه دون ندامة ... ولم يخشَ في الآتي عقابًا على وزر
وحدَّق بالاكفان لم ير فوقها ... سلاحًا ينيل الفتح في موقف الحشر
جرت دمعة من عينه وهو مطرق ... فكانت لاقلام التواريخ كالحبر
ولم يك هذا الدمع الا لانه ... تمنى الردى ما بين عسكره المجر
ولم يكن الاطراق الا تعاميًا ... عن الناس حتى لا يرى اثر الغدر
فلم يعجب التاريخ في صفحاته ... باخلق من هذا المخلد بالذكر
ولم اره فيما مضى من جلاله ... باعظم منه حين قُيد بالاسر

الخاتمة

قول يُهدى الى شعراء الشرق وكتابه وامهاته .

ولقد طالت هذه المقالة فوق ما كنا نريد فترتب علينا الآن ان نختتم الكلام بقول فيه تمام الفائدة فنقول

بماذا امتاز فيكتور هيغو عن اقرانه حتى استحق ذلك المجد العظيم الذي لبس تاجه ؟ الجواب انه امتاز بعدة امور منها . اولاً انه وُهب مواهب خصوصية كانت تجعله اذا مسَّ احقر المواضيع صيره ساميًا رفيعًا فكأنه ساحر يتناول التراب فيجعله تبرًا . ثانيًا انه عاش في وَسط ادبي كان محتاجًا الى مثله فاحيى اللغة الفرنسوية بما ادخله اليها من التعابير والاساليب الجديدة وفك التمثيل من قيده كما تقدم بيانه . ثالثًا ان آمال الجمهوريين كلها قد تجسمت فيه ولما انتصرت الجمهورية بعد ذلك عدَّ انتصارها انتصارًا له وكان

نفيرها الاعلى . رابعاً ان الالمانيين اسقطوا فرنسا في زمنه واستولوا على باريز بعد سقوط الامبراطورية فصارت فرنسا في ضعة وصغار بعد عزها ومجدها ولم يبقَ لها شيء كبير تفاخر به العالم غير « الشاعر هيغو » الذي كانت جميع الانظار في جميع الاقطار شاخصة اليه تنتظر كلامه السحري ونظمه الدري . فكأن كل عظمة فرنسا الماضية اجتمعت يومئذ في نفسه . خامساً ان فلسفة هيغو مبنية على حب الانسانية ومساعدة الضعفاء والرفق بالشعب واعتباره انه الانسانية الحقيقية . وحسبنا شاهداً على ذلك كتابه « المبزرابل » الذي هو اهم كتبه فانه عبارة عن وصف الشعب واطراء صفاته الطبيعية . ولذلك كانت مبادىء هيغو عامة لكل شعب من الشعوب وشديدة التاثير في كل امة من الامم لان كل واحدة منها تظن عند الاطلاع عليها ان هيغو انما كتبها من اجلها . فكانه كان يخاطب الانسانية كلها لا فرنسا وحدها

هذه اخص مزايا هذا الرجل العظيم ولكن كل هذه المزايا صغيرة في راينا بالقياس الى مزية لم نُشر بعدُ اليها . وهذه المزية هي « صبره على العمل وانصبابه على التاليف والنظم ستين عاماً بلا انقطاع ولا تعب ولا ملل »

ولقد عددنا في هذه المقالة كل مؤلفات فيكتور هيغو في حينها فتعقبها الآن واحصها وقل لنا ماذا يظهر لك منها ؟ يظهر لك ان هذا الكاتب كتب مدة ستين عاماً وكان ينشر كتاباً من تاليفه في كل سنة تقريباً . اي انه كان يصرف كل اوقاته في المطالعة والكتابة والنظم ولم يكن له لذة في غيرها . فتارة ياخذ كتابه ويطوف شوارع باريز واطرافها متاملاً متفكراً في الموضوع الذي ينوي الكتابة فيه . ذلك لانه كان كثير الطلب للهواء النقي والخلاء ولولا ذلك لقتله عمله العقلي الطويل مع ما تقدم من نحافة جسمه في بدء عمره . وطوراً يجلس الى مائدته خمس ساعات او سبع ساعات متتابعة وهو يسود صفحات الورق الابيض امامه بقلم يخط سحراً ويُبرز تبراً ثم يلقيها وراء ظهره على الارض واحدة وراء اخرى . وكان لا يترك حادثة من حوادث زمنه الا وينشب اظفاره الاسدية فيها حتى صارت مجموعة مؤلفاته عبارة عن تاريخ القرن الذي عاش فيه . وكان فوق ذلك اذا هبط الليل شرع في المطالعة . وقد يكون مستغرقاً في نومه بعد منتصف الليل فينتبه ويقوم الى قصيدة يكون قد بدأ بها او خاطر جديد مرَّ في باله فينهض لتقييده . ومن ذلك يظهر ان المواهب لا تكفي الانسان ان لم تكن مقرونة بالصبر على العمل والجد فيه وقوة الارادة عليه وهو ما يسميه بعضهم « بالثبات »

فهذا الجد الغريب والجهد العجيب يذكرنا بالرغم عنا حالة كتاب الشرق وشعرائه ومن اجل ذلك وضعنا هذه الخاتمة . وانما نذكرهم لا لنظهر الفرق بينهم وبين نوابغ الغرب وانما لنذكرهم بالداء الذي اضعف جميع المواهب التي ظهرت في بلادهم وغادرها كانها لم تكن شيئاً مذكوراً . وهذا الداء هو ما تقدم ذكره من عدم الصبر على التعب وخلود كل عامل الى الكسل بعد اكتسابه شيئاً من الشهرة وتركه العمل الشاق لانه يقتضي جهداً وعناءً مع معرفته « بان الوصول لا يكون الا بهذه الاصول » كما يقول كتاب العرب . وكفانا ان نستشهد الآن على هذا القول بحضرات الشاعرين احمد بك شوقي وحافظ افندي ابرهيم . وانما نخصهما بهذا الاستشهاد لانهما احب الشعراء الى الجمهور . فنسالهما بلسان هذا الجمهور الذي يحبهما ويهتزُّ طرباً لاقوالهما باي شيء يقطعان اوقاتهما الآن واين الكتاب المفروض على كل واحد منهما في كل عام

وان قيل ان سوق الادب كاسدة ولذلك لا يوءلفان ولا يترجمان فنحن نردُّ على ذلك بان فيكتور هيغو لم يكن يربح من ديوانه في بدء امره اكثر من ٧٠٠ فرنك كما تقدم . ونحن الضامنون ان اية مطبعة من المطابع التي تنشر الكتب تبتاع الآن من حافظ افندي او شوقي بك الديوان الجديد بسبعمائة فرنك على شرط ان يكون منظوماً كما يريد الجمهور وفي المواضيع التي يحبها . وان قالا ان احوالنا لا تساعد رجالنا نقول ان احوالنا على قدر رجالنا وها هي الحوادث العظمى تحدث وتمر دون ان نسمع فيها لاحدهم صوتاً . وان كانا يقولان ان الناس لا يعنيهم امرنا فاننا ننظم حينما نريد ونسكت حينما نريد فنقول ان كل امة يهمها امر نوابغها كما قال المسيو براندبس في صدر هذه المقالة لانها وصية عليهم وهم لها لا لانفسهم . ولذلك يحق لكل واحد من الجمهور ان يخاطب شاعري مصر بما خاطبهما به جناب داوود بك عمون ولكن لمعنى آخر غير المعنى الذي اراده

اشوقي أحافظ طال السكوتُ وترك الامور لاقدارها
فصوغا القوافي مصقولةً وشقا الجلود ببتارها
عساها تحرك اوطاننا وتنشر ميّت افكارها

ولكن اذا كان حضرة شوقي بك يلتزم السكوت طول العام ولا يرفع صوته فيه الا ثلاث او اربع مرات لتهنئة الجناب الخديوي ببضع قصائد فان حافظ افندي يسعى ويعمل . وقد كتب الينا جنابه منذ مدة يخبرنا انه عرب رواية التعساء (الميزرابل) عن فيكتور هيغو وتفضل بان وعد الجامعة بنشر بعض فصوله فيها . فنحن نرحب بكل

ما يكتبه جناب حافظ افندي ولكنا نستغرب ان يكون في يده قيثارة عليها اوتار من اوتار هيغو (اي قلم الشعر) ثم يعدل عنها الى ربابة (اي قلم النثر) فليته يعدل عن النثر الى ما خُلق له . بل ليته يلخص « التعساء » شعرًا فتكون احسن منها نثرًا

وختام الكلام ان رجلاً كهيغو لا ينبت من الارض ولا يهبط من السماء . بل هو ينشئ نفسه بنفسه . وذلك بالصبر على العمل وسهر الليالي فيه وتفضيل لذته على كل لذة وطلبه لذاته لا للمال الذي ياتي عنه ومعرفته ان الشاعر او الكاتب اذا نام على أكاليله كما يقول الافرنج فقد مات وأمات في نفسه عالمًا معه . فالعمل والسهر والتعب : هذه هي عصا السحر التي تضع صبيًا ضعيفًا فقيرًا كهيغو فوق الامبراطرة والملوك . وما خُلق البشر في هذه الارض ولا سيما نوابغهم الا للعمل والتعب وخلق مواد جديدة من العدم لا لصرف الاوقات في ما لا يفيد شيئًا . فعسى ان يعتبر نوابغ الشرق بذلك فلا يقتلوا مواهبهم في الكسل والاهمال والملاذ الشبيهة بفقاقيع الصابون من حيث سرعة زوالها . وهنا نذكر ما قاله وزير التجارة الفرنسوية في ختام الخطبة التي القاها يوم افتتاح معرض باريز الماضي « سقيًا لك ايها العمل المقدس . يامحرر الانسان ومشرفه ومعزيه . بك يتلاشى الجهل . بك يزول كل شر . بك تتحرر الانسانية من نير العبودية والظلام . وترتقي في الآفاق العلوية المنيرة الهادئة التي لا بدَّ ان تبلغها يومًا من الايام »

هذا ما نقوله للمشتغلين بالعلم والادب والشعر في الشرق . بقيت لنا كلمة نقولها للامهات وهي ماخوذة عن قصيدة روستان التي مرَّ ذكرها وهي : ايتها الامهات ابذلن كل ما في ايديكن وفي نفوسكن لتربية نفوس اولادكن . ولا تهملن ولدًا اذ من يعلم متى يمر في الارض ذلك الولد الذي سيكون الهًا ؟ ومتى اخذتن راس ولدكن بين ايديكن لتقبيله فلا ضغطن عليه كثيرًا فانه ربما كان هذا الراس وحده يضمّ عالمًا عظيماً